كمين في لوران

كادت الفكرة أن تكتمل، أجلس أمام المرآة، أنظر لشعري القصير جدا، والذي مشطته على طريقة الفتيان، أزيد "القطف" قليلا بقلم الكحل، ثم أوصل بدقة مابين "العبثة" كما في صور الفنانة "فريده كويلهو" أمسح بقايا كحل الأمس عن عينيّ، الآن لا توجد عندي مشكلة سوى في ذلك الصدر السخي، والذي ورثته عن أمي، يالله كيف أخفيه؟.. جلست على المقعد المواجه للمرآة شاردة حتى واتتني الفكرة، فقمت في البدء أغلق باب حجرتي، حتى لاتفاجئني أمي وتراني، وأنا أقص كيس الوسادة طوليا، أخفي جزء تحت الوسادة ثم جهزت بعض الدبابيس، لففت القماش بشدة حول صدري الناهد، بشدة آلمتني حتى أصبح مضغوطا، يكاد لا يبين، وقرّبت بين طرفي القماش وثبته بالدبابيس، أتلفَّت يمنى ويسرى أبتهجتُ بإنجازي الصغير، وارتديت فانلة شقيقي وقميص أبي، ثم رسمتُ شاربا خفيفا لمراهق، إلى أن أتى شقيقي الأصغر، يؤكد مخاوفي،

فقد سأل حارس العمارة المواجهة لبيتنا، عن تلك السيارة ماركة الفولكس فاجن، غامقة الزجاج، فأخبره أن بها رجال أربعة، منذ عدة ساعات، نزل أحدهم واشترى سجائره وسأله عني، وأكد لهم أني أسكن هنا.

باتت الرؤية واضحة إذن، فهم منتظرون الفجر لأنهم لا يحبون المجيء في نور النهار.

ضحك أخي على هيئتي الجديدة، ووضعتُ علبة السجائر في جيب القميص العلوي، ونزلنا الشارع، وأنا أستغرب أن أخرج دون حقيبة، والأكثر غرابة وإمعانا في التنكر أشعلت سيجارة في الشارع. وبعد أن غابت الشمس لاحظت سيارة المراقبة توجه مقدمتها لباب العمارة، نزلنا بعد أن سمح لنا أول الليل بالتحرك،

بعد شارعين كان أخي يدق جرس الباب لبيت أحد الأقارب، وقفت بجواره، يكاد وجهي أن يتشقق من ضحكات مكبوتة تريد الإنطلاق، فبادرنا الرجل أهلا وسهلا، هات صاحبك وتعال. أفرجتُ عن ضحكتي ووسط دهشته تركناه ، ومشينا.

كانت الخطة أن يودعني أخي لشقة عرسي القريبة، التي لم يكتمل أثاثها بعد، يتبقى شهر أو يزيد على حفل زواجي، بعد شراء بعض الشموع والطعام، تركني.. وزيادة في التمويه أغلق الباب خلفه بالقفل الحديدي الكبير، وذكَّرني بألا أوقد النور، فالشمع سيقوم بدوره.

كل ما كان يؤلمني ويشتت أفكاري هو صدمة أمي، أتأكد أنها لن تبيت ليلة هادئة، ستظل مسهدة حتى الصباح، أو حتى يطرق بابها زوار الفجر، تتمتم في نفسها أن يبعد عنا أولاد الحرام، وتتجه بالدعاء بصوت مفجوع أن أتزوج وأرحل، لأكفّ عن أي نشاط في الكلية، ويرتاح بالها.

بعد الفجر بقليل، جاء من يعبث بقفل الباب، ارتعبت لثوانٍ، حتى دخل أخي وصديقينا المقربين، في همس يحكي لي ماحدث منذ قليل، حين طرقوا باب البيت، وكعادتها أمي من كانت متيقظة ملفوفة في مخاوفها، فتحت لهم بعد أن أخفت بعض الأشياء مثل خاتم أو نقود، حتى لا تتسحب أيدي أحدهم وتدسها في جيبه كالمرة السابقة، ولما طلبوا الدخول لتفتيش غرفتي، بعد تأكدهم من هروبي، أدخلتهم

حجرتي التي استوطنها شقيقاي مؤقتا، وكانا نائمين نوما قلقا، كمن ينتظر نتيجة آخر العام.

أوقد الضابط نور الحجرة، أخرج أخي مجدي رأسه من تحت الغطاء كعادة نومه، نظر إلى من يقفون صامتين بجوار باب الغرفة، ثم فرك عينيه وهو يلكز الصغير النائم بجواره قائلا:

إحنا نايمين في شارع شبرا؟.

وغطى وجهه، لكن ضحكاتهما كانت مسموعة من تحت الغطاء. بعد قليل أتى عريس المستقبل واصطحبني إلى ميدان رمسيس حيث سيارات السفر إلى الاسكندرية.

أغلب الأقارب لا يهتمون سوى بأمورهم الشخصية، أو بالجلوس على المقاهي والثرثرة في أغلب الأشياء، وحتى في الخوض في بعض خصوصيات الجيران، لكن السياسة عند أغلبهم لها أناس غيرهم، قلة وعي أو عدمه، أم خوف من البطش، أو عله الشعور بالدونية، الذي استفحل، لسيطرة حزب حكومي واحد، له الحق والسبق في التحدث في أمور البلاد والعباد دون غيره،كما أن استقرار

عقيدة "دع الخلق للخالق" متغلغة في العقل الجمعي، فيتضح الخلاف قويا بين من يعرف ويعمل وهم قلة من الطلبة أو العمال والمثقفين، وبين أغلبية شعبية مغيبة، تصير أكثر عداء أحيانا للناشطين.

في بيت عمي رغم حفاوتهم بي، لم أخبرهم بسبب الزيارة، وبعد يومين اتصل ابن عمي، وطلب استضافتي في شقته الفاخرة في حي" لوران " الراقي بالأسكندرية، ونصحني بأنها تليق بلقائي وخطيبي، ومع إصراره وافقتُ، وأنا أشاركه الحس بالفخر الذي سوف يكون أثره طيبا علي كلانا خطيبي وأنا.

كنت أجلس بالصالة المنمقة الفسيحة أمام التلفاز، أمامي الرئيس المؤمن يتوعد المعارضين "حافرمه" .. يالله، إنه لم يكتف بإرتداء بذلة هتلر المجنون الذي حرق العالم لمرض في نفسه، بل يتقمص دوره وأداءاته، يالله.

وفي وسط امتعاضي سرت الرعدة خفية في جسدي، وفجأة جاء خطيبي، ضمَّني بوجل أمام أقارب تعرف العيب، وحتى لا تتناقل ألسنتهم تصرفه بين كل الأهل، ثم همست في أذن زوجة قريبي أن

تصف لي مكانا هادئا قريبا نجلس فيه لأعرف منه، ما الذي حدث في الأيام السابقة في العاصمة، لكنها فاجئتني بإحضار وليمة، وأصرت أن يتناول الضيف "الغالي" طعام العشاء أولا، وكانت قد وضعت بجواري على المقعد الوثير "بيجامة" للضيف بعد انتهاء العشاء، قي حين أعطاني خلسة بعض الأوراق التي أصدرتها بعض الأحزاب، ردًّا على قرارات الحكومة برفع أسعار أغلب السلع في٧٧، لم يتح لي الوقت لفضها، والتعرف على مضمونها فهمست له: بعد الأكل ننزل.

أتابع محاولات تلك المرأة غير المفهومة في إزجاء الوقت، ودرجة التوتر التي تجعل زوجها يروح ويجيء لثوان حولنا دون سبب مفهوم، تعرض أمامي الجاكت الجديد لزوجها. أمسكتُه ووضعته بجانبي وأنا ألح على النزول..

فجأة رن جرس الباب، وكنت على جلستي في مواجهته، دخل أبي، ولما قرأتُ ملامحه، دق قلبي وجريت إلى الحمام، أغلقته من الداخل وبدأت أشعل الأوراق التى خبئتها في جيبي بولاعتي، وكانت الصالة وسلم البيت قد امتلأت بالمخبرين ورجال الأمن، الذين اصطحبهم

أبي إلى مكان اختبائي. بضع خبطات وصلتني على باب الحمام الذي احتميت به، أحاول إسكات ذلك الزلزال الذي تملك ركبتي وأسناني، ولما أنهيت حرق الأوراق، أخذت نفسا عميقا كمن ذاهبا للغوص، أو مصحوبا لغرفة الإعدام، أفكرُ في فرحة اللقاء المقتولة، وصمت خطيبي المباغت والموجع، وشكل أبي أمامي، وصدمتي التي تكبر عمري، خرجت غاضبة وقد تمالكت نفسي بإصرار وثبات.

في الصالة ، وقفت أربِّع يديّ، أتفحص وجوه من أمامي حتى الأطفال، ووجدتني أمد يدي لابن عمي بطلب نقود: "مش عارفه حاروح فين.. هات"

مد أبي لي يده بمبلغ كبير، وسط عرقه وخجله، ضربتُ يده ونثرت النقود على الأرض وسط سبابي. سكتَ واقفا، رأسه مدلى كمشنوق، وأخرج ابن عمي بعض النقود، فخطفت كل ما في قبضة يده، ثم ودون قرار مسبق، وجدتني أخطف الجاكت الجديد الثمين، واتجهتُ ناحية الباب سلمتُ على خطيبي، وقلبي يبكي..كنت أسمع صوت بكائه، اكتفيت بتقطيب ملامحي الجريحة، ووسط رجاء أبن عمي

أن أترك الجاكيت، وأن يحضر لي غيره، تفَلْتُ عليه بغيظ. دون اهتمام لطلبه، لكن الرغبة في عقابه، كانت تتملكني.

اتجه رتل السيارات التابع للمحافظتين، في طريقنا إلى القاهرة، انظر من النافذة، ألمح لافتات الطريق تودع المغادرين على الطريق الزراعي، "مع السلامة"

من ثرثرة وحكايات المسؤلين في مكان الاحتجاز تأكد حدثي، ومخاوفي، وتكشفت أمامي أجزاء خطة الكمين الذي ألقيا بي داخله.